

الشوق إلى الله

جل جلاله

قُرئ هذا الكتاب على فضيلة الشيخ

عبد الرحمن بن ناصر البراك حفظه الله

تأليف

عبد الله العنزي

ح عبد الله العزي، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العزي، عبد الله

الشوق إلى الله جل جلاله / عبد الله العزي. - الرياض، ١٤٣٣هـ

٩٦ ص ، ١٢ × ١٧ سم

ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٠١-٠٦٦٥-٣

١- الوعظ والإرشاد أ- العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٣٣/٧٣٠ ٩

رقم الإيداع : ١٤٣٣/٧٣٠ ٩
ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٠١-٠٦٦٥-٣

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم**مقدمة**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين، أما بعد :-

إن الشوق إلى الله جل وعلا في قلب العبد دليلٌ
على قوة محبته لربه؛ ذلك أن الشوق أثر من آثار
المحبة فكلما زادت المحبة زاد الشوق وكلما ضعفت
المحبة ضعف الشوق بل ربما تلاشى واضمحل.

ومحبة الله جل وعلا والشوق إليه من أعمال
القلوب التي ينبغي للعبد القيام بها كسائر العبادات
الظاهرة والباطنة؛ إذ الجميع داخل في مسمى العبادة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في تعريف العبادة: (العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة)^(١).

والشوق إلى الله جل وعلا لما كان من أعمال القلوب الباطنة، كان من أعظم العبوديات التي تسوق العبد إلى المسارعة للطاعات والقربات، وترك المعاصي والمنكرات دون مشقة ولا تكلف، بل هو مسارع للخيرات بشوق يحدوه للأنس بربه، ولذة مناجاته، وتارك للمعاصي والسيئات لئلا تعيقه أو تمنعه عن شوقه إلى ربه جل وعلا.

ولما كان هذا الموضوع بهذه الأهمية من جانب، وغفلة كثير من المسلمين عنه من جانب آخر، جاءت هذه الرسالة: {الشوق إلى الله جل جلاله} تذكيراً لنفسي وإخواني بأهمية هذا الموضوع العظيم.

(١) (مجموعة الفتاوى) (١٠/١٩٤).

وقد يسر الله لي جل شأنه أن أقرأ هذا الكتاب
على شيعي الفاضل عبد الرحمن بن ناصر البراك
حفظه الله، فكان يرشدني إن رأى مني خطأً،
كما كان يوجهني أحياناً بزيادة أو حذف، فجزاه
الله عني خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.

أهمية الحديث عن الشوق إلى الله في عصرنا الحاضر:

إن الحب والعشق والشوق فيما بين الناس في عصرنا الحاضر قد طغى وراجت أسواقه، والناس فيه ثلاثة أصناف:

- (١) صنف معتدل يسعى لتطبيق سنة النبي صلى الله عليه وسلم في محبته لزوجاته وأولاده وأقاربه وأصدقائه.
- (٢) صنف جفا ولم ير للمحبة مكانة في الحياة الاجتماعية عمومًا، والحياة الزوجية خصوصًا، وهذا وإن كان في هذا العصر قليل ولكنه موجود، وهذا الصنف إما أن يكون جفا لسجية فيه وطبع، وإما لموقف وقع له، مما جعله ينظر هذه النظرة للمحبة والحياة.
- (٣) صنف بالغ بالحب وطغى وهو على قسمين:
أ- قسم طغى فوقع في الحب والغرام والعشق والإعجاب سواء كان ذلك بين الفتيان أو بين الفتيات

أو بين الجنسين، حتى عقدت للحب حفلات وأعياد. وهذه العلاقات ظاهرة الحرمة، نسأل الله العفو والعافية.

ب- قسم ليس كالقسم الأول لأن محبته داخلة في المحبة الطبيعية كمحبة الوالدين والزوجة والأولاد...، ولكن مكنم الخطر في فهم المحبة؛ حيث فهم هذا القسم المحبة فهمًا خاطئًا بل بالغ فيها، وبرر فهمه ومبالغته بقوله صلى الله عليه وسلم: (خيركم خيركم لأهله)^(١)، واستدل - أيضاً - بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته خاصة خديجة وعائشة رضوان الله عليهن أجمعين.

ومنشأ الخطأ ظنُّه أن الحبَّ هو ترياق الحياة، وأن الحياة الزوجية القائمة على الحب هي بوابة السعادة،

(١) رواه الترمذي رقم (٣٨٩٥) وابن ماجه رقم (١٩٧٧) وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٢٦٦).

بل بالغ بعضهم في ذلك حتى لكأن الحياة الزوجية القائمة على الحب هي كل شيء في الحياة - وإن لم يصرح بذلك - حتى لو كان أحد الزوجين مقصراً في طاعة الله جل وعلا؛ لأنه يظن أن الحب هو الطريق الأمثل والأسهل في التأثير على الزوجة أو الزوج، وما شعر أنه ربما تأثر هو وتنازل فقدم محاب من يحب على محاب الله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وسلم، بل ربما أدى فهمه للحب والمبالغة فيه إلى أن زاحم - إن لم يكن فاق - حبه لمن يحب حباً الله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وسلم في قلبه وهو لا يشعر؛ مما يكون له أثرٌ في ضعف شوق العبد لربه جل وعلا، بل قد يغيب ويضمحل إذا ما قورن بشوقه لمن يحب، لأن الشوق أثرٌ من آثار المحبة، وإذا زوحت محبة الله جل وعلا بمحبة غيره في قلب العبد، ضعفت محبة الله جل وعلا،

ونتيجة لذلك يضعف الشوق في قلبه بقدر المراحة،
 فيخسر العبد بقدر ذلك ويشقى في الدنيا، ولأن
 (القلب إنما خلق لأجل "حب الله تعالى")^(١)، وليس
 لحب غيره، وإن كان من حب فهو تبع لحب الله جل
 وعلا، ولذا فإن في القلب شعناً - ولو أوتي الدنيا
 كلها - لا يُلْمُه إلا محبة الله جل وعلا والأنس به
 والشوق إليه، والأمر كما قال القائل:
 نقل فؤادك ما استطعت من الهوى
 ما الحب إلا لئله الأوحـد

(١) (الفتاوى ١٣٥/١٠)، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

محركات القلوب:-

إن محركات القلوب إلى الله جل وعلا، وإلى التقرب إليه بالأعمال الصالحة، ثلاثة: هي المحبة والخوف والرجاء؛ والناس متفاوتون في محركات قلوبهم فمنهم من تحركه المحبة أعظم من تحريك الخوف والرجاء وهذا هو الأفضل والأكمل، وغيره قد يحركه الخوف أو الرجاء أعظم من تحريك المحبة، ومن كانت هذه حاله فهو أقل منزلة ممن قبله، فهل يستوي من تحركه محبة الله والشوق إليه مع وجود الخوف والرجاء في قلبه، مثل من يحركه خوف الله أو رجاء فضله مع وجود المحبة في قلبه، لاشك أنهم لا يستوون.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:-

(اعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل
ثلاثة المحبة والخوف والرجاء، وأقواها المحبة وهي
مقصودة تُراد لذاتها، لأنها تراد في الدنيا والآخرة
بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة)^(١).

(١) (مجموع الفتاوى) (٩٥/١).

محبة الله مقدمة على الخوف منه والرجاء له :-

إن محبة الله والخوف منه والرجاء له يجب أن تكون في قلب المؤمن، ولكن ينبغي أن تكون محبته لله أعظم من خوفه من الله ورجائه له لعدة أسباب منها :-

(١) أن حقيقة العبودية لله هي الحب التام مع الذل التام والخضوع له سبحانه، -وهي ما جُبلت القلوب وفطرت الخليقة عليها، قبل أن تجتالهم الشياطين؛ فتطمسها بالشرك، أو تكدرها بالذنوب والمعاصي، وكل بقدره-، فالعبادة هي من أعلى مراتب المحبة.

يقول ابن القيم رحمه الله في هذا المعنى في معرض كلامه عن مراتب المحبة: (التاسعة: "التعبد" وهو فوق التتيم، فإن العبد هو الذي قد ملك المحبوب رقه فلم يبق له شيء في نفسه ألبته، بل كله عبد لمحبيه ظاهراً وباطناً، وهذا هو حقيقة العبودية،

ومن كَمَل ذلك فقد كَمَل مرتبتها - إلى أن قال رحمه الله - وحقيقة العبودية: الحب التام، مع الذل التام والخضوع للمحبيب تقول العرب: "طريق معبد" أي قد ذللت الأقدام وسهلته^(١).

(٢) أن محبة الله متعلقة بجمال الذات وجمال الأسماء والصفات أولاً، ومتعلقة بنعمه وآلائه ثانياً، والأول هو الأصل والمعول عليه، وأما الخوف والرجاء فمتعلق بالأفعال أي خوف العبد من سخط الله وعقوبته في الدنيا والنار في الآخرة، ورجاء رضوان وثواب الله في الدنيا وجنته في الآخرة، لذا ما كان متعلقاً بالذات والصفات فينبغي أن يكون أعظم مما يتعلق بالأفعال.

(١) (مدارج السالكين) (٣/٤٦٨-٤٦٩).

يقول ابن القيم رحمه الله: (إن الخوف يتعلق بالأفعال، وأما الحب فإنه يتعلق بالذات والصفات، ولهذا يزول الخوف في الجنة، وأما الحب فيزداد - إلى أن قال رحمه الله - والفرق بينه وبين الحب أن الحب سببه الكمال، وذاته تعالى لها الكمال المطلق، وهو متعلق الحب التام، وأما الخوف فسببه توقع المكروه، وهذا إنما يكون في الأفعال والمفعولات)^(١).

وقال رحمه الله في موضع آخر: (والخوف ليس مقصوداً لذاته... ولهذا كانت منزلة المحبة ومقامها أعلى وأرفع من منزلة الخوف ومقامه)^(٢).

(٣) أن المحبة هي روح كل مقامات الإيمان والإحسان، حتى مقام الخوف والرجاء، يقول ابن القيم عن المحبة: (فإنها روح كل مقام ومنزلة وعمل،

(١) (طريق الهجرتين) (٢/١٩٦).

(٢) (مدارج السالكين) (١/٤٩٧).

فإذا خلا منها فهو ميت لا روح فيه، ونسبتها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها، بل هي حقيقة الإخلاص، بل هي نفس الإسلام، فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله، فمن لا محبة له لا إسلام له البتة، بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، فإن "الإله" هو الذي يأله العباد حباً وذكلاً، وخوفاً ورجاءً وتعظيماً وطاعة له، بمعنى "مألوه"، وهو الذي تأله القلوب أي تحبه وتذل له^(١).

(٤) إن المحبة لا بد أن تكون مع الخوف، وكذلك مع الرجاء، فالخوف من الله ورجاؤه لا يتصوران من المؤمن إلا مع محبته سبحانه، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

(١) مدار السالكين (٣/٤٦٢-٤٦٣).

يقول ابن القيم عن هذه الآية: (فجمع بين المقامات الثلاثة، فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب إليه بحبه، وفعل ما يحبه، ثم يقول: (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) فذكر الحب والخوف والرجاء) ^(١).

فالخوف المقبول عند الله جل وعلا هو خوف المحبين، كما أن الرجاء المقبول هو رجاء المحبين.

(٥) أن المحبة تجمع بين الخوف والرجاء وتوازن بينهما، فلا يطغى أحدهما على الآخر، ولا يلغيه.

قال تعالى: ﴿فَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

فلا يمكن لأحد أن يفرّ إلى الله إلا وهو يرجوه، كما أن فراره إليه دليل على خوفه منه، لقوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، كما أنه لا يمكن أن يجتمعا في قلب عبد إلا برابط المحبة،

(١) (طريق الهجرتين) (٦١٣/٢).

والأمر كما قال ابن القيم: (القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فُقد الجناحان فهو عُرضة لكل صائد وكاسر)^(١).

(١) (مدارج السالكين) (١٤٥/٢).

علاقة الشوق بالمحبة :-

الشوق أثر من آثار المحبة ، فكلما زادت المحبة
زاد الشوق ، وكلما زاد الشوق كان ذلك دليلاً
وبرهاناً على صدق المحبة.

ألا ترى أن :-

- هناك أناس تحبهم ولكن لا تشتاق إليهم.
 - وهناك أناس تحبهم وتشتاق إليهم.
 - وهناك أناس تحبهم وتبكي شوقاً إليهم.
- فأين الله جل وعلا في قلبي وقلبك من هذه
الأصناف الثلاثة!!!.

وقفه :-

قد يعتذر كثير من الناس أن الشوق إلى الوالدين والأولاد والزوج أو الزوجة والأخوة والأصدقاء قد جبلت وفطرت عليه قلوب الناس، فلا تستطيع أن تحيد عنها خاصة إذا غاب المرء عمَّن يحب فترة من الزمن.

أما الشوق إلى الله عز وجل فهو من المقامات العالية التي لا يكاد يصل إليه إلا الخُص من المؤمنين.

فالجواب عن هذا من عدة جوانب:

أولاً: لا يعاب على المرء في شوقه لوالديه وأولاده وزوجه وغيرهم، ولكن المأخذ في ذلك أن يكون شوقه إليهم أعظم من شوقه إلى الله عز وجل، وحقيقة ذلك أن الشوق متعلق بالمحبة، فكلما زادت المحبة زاد الشوق، وكلما زاد الشوق كان ذلك دليلاً وبرهاناً على صدق المحبة.

فإذا قال المرء: إني أحب الله جل وعلا أعظم من محبتي لوالدي وأولادي... فلسائل أن يسأل فيقول: إذا كانت هذه هي المحبة فأين الشوق!!؟

ثانياً: الاعتذار بأن الشوق إلى الوالدين والأولاد والزوج أو الزوجة والأخوة وغيرهم؛ قد جُبلت عليها القلوب، وأن هذا الأمر يُغلب عليه المرء قسراً، وأن الشوق إلى الله لا يصل إليه إلا الخالص من المؤمنين، فهذا الكلام له جانب من الصحة؛ ولكن الحقيقة التي قد تغيب عن من يعتذر بهذا أن محبة الله والشوق إليه جل وعلا قد فطرت عليها قلوب العباد أعظم من فطرتها على محبة والشوق إلى الوالدين والأولاد... والشوق إليهم، وأن الله جل وعلا أقرب إلى قلب العبد من والديه وأولاده وغيرهم جبلةً وفطرة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وكل مولود يولد على الفطرة فإنه سبحانه فطر

القلوب على أن ليس في محبوباتها ومراداتها ما
تطمئن إليه وتنتهي إليه إلا الله وحده، وأن كل ما
أحبه المحبوب من مطعم وملبوس ومنظور ومسموع
وملموس يجد من نفسه أن قلبه يطلب شيئاً سواه،
ويحب أمراً غيره يتأله ويعمد إليه ويصمد إليه ويرى
ما يشبهه من هذه الأجناس، ولهذا قال الله تعالى في
كتابه ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَقْ يَخْرُجُ اللَّهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ ذُرِّيَّتًا مُطَهَّرَةً وَهِيَ تَتَبَدَّلُ فِي بُحُونِهِمْ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ خَبِيرٌ﴾ [الرعد: ٢٨] ^(١).

ومما ينبغي ذكره هنا أن المحبوبات الثمانية
المذكورة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ
وِإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ
كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا﴾ الآية، [التوبة: ٢٤]؛

(١) (مجموع الفتاوى) (٧٢/١٠).

محبة العبد لها محبة طبيعية لا يلام عليها إلا أن يؤثرها على محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وطاعته والجهد في سبيله.

ويظهر ذلك إذا تعارض أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة هذه المحبوبات، لأن محبة الله جل وعلا ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم محبة إيمانية دينية، ومحبة هذه المحبوبات الثمانية المذكورة في الآية محبة طبيعية يشترك فيها كل الناس، والمحبة الإيمانية الدينية مقدمة على المحبة الطبيعية شرعاً وفطرةً وإن غفل عنها الغافلون.

الشوق إلى الله جل جلاله :-

هناك عدة تعاريف تبين معنى الشوق منها :-
 الشوق: هو سفر القلب في طلب محبوبه ، بحيث لا
 يقرّ قراره حتى يظفر به ويحصل له.
 وقيل: الشوق: هبوب القلب إلى محبوب غائب عنه.
 وقيل: الشوق: نزوع القلب نحو المحبوب من غير منازع.
 وقيل: الشوق: انتظار اللقاء بعد البعاد^(١) .
 وقيل: هو احتياج القلوب ، إلى لقاء المحبوب^(٢) .
 وكل من عرف الشوق بتعريف فإنه يجعله منطبقاً
 على الشوق إلى الله جل جلاله.

(١) انظر (طريق المحرّتين) (٢/٧١٣).

(٢) انظر (مدارج السالكين) (٣/٥١٢).

علاقة الشوق إلى الله بمعرفة جماله جل وعلا:-

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -
في شرحه لنونية ابن القيم:-

(الجميل من له نعوت الحسن والإحسان، فإنه جميل في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فلا يمكن لمخلوق أن يعبر عن بعض جمال ذاته، حتى أن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم، واللذات، والسرور، والأفراح التي لا يُقدر قدرها؛ إذا رأوا ربهم، وتمتعوا بجماله نسوا ما هم فيه من النعيم، وتلاشى ما هم فيه من الأفراح، وودَّوا أن لو تدوم هذه الحال، ليكتسبوا من جماله ونوره جمالاً إلى جمالهم، وكانت قلوبهم في شوق دائم ونزوع إلى رؤية ربهم، ويفرحون بيوم المزيد فرحاً تكاد تطير له قلوبهم..)^(١)

ومن لم يعرف جمال يوسف عليه الصلاة والسلام الظاهر حيث أُوتي شطر الحسن، ومن لم يعرف

(١) انظر (توضيح الكافية الشافية) ص (١١٧)، وانظر (الحق الواضح المبين) ص (٢٩ وما بعدها).

جماله الباطن حيث أُوتِي الصديقية والعفة وتاج ذلك النبوة، من لم يعرف ذلك قد لا يستشعر لمْ بكى عليه أبوه - يعقوب عليه الصلاة والسلام - حتى ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم!!^(١).

(ولله المثل الأعلى) ومن لم يعرف جمال الله جل وعلا لا يبكي شوقاً إليه؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله جميلٌ يحب الجمال)^(٢).

يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- :-

(من أعزَّ أنواع المعرفة معرفة الرب سبحانه بالجمال، وهي معرفة خواص الخلق، وكلهم عرفه بصفة من صفاته، وأتمهم معرفة من عرفه بكماله وجلاله وجماله، سبحانه ليس كمثله شيء في سائر صفاته)^(٣).

(١) انظر (بدائع الفوائد) لابن القيم، (٣/١٢٢٣) بتصرف.

(٢) رواه مسلم رقم (٩١) والترمذي رقم (٢٠٠٠) وغيرهما.

(٣) (الفوائد) لابن القيم ص (٢٦٤) طبعة دار عالم الفوائد.

فمن أعظم نعم الله جل وعلا على عبده أن يرزقه
معرفة جماله وجلاله عز وجل، إذ الله جل وعلا
جميل في ذاته وفي أسمائه وصفاته وأفعاله.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته:
"وهو الجميل في الحقيقة كيف لا

وجمال سائر هذه الأكوان
من بعض آثار الجميل فرئنا

أولى وأجدر يا ذوي العرفان
فجمالُه بالذات والأوصاف والـ

أفعال والأسماء بالبرهان
لا شيء يشبه ذاته وصفاته

سُبْحَانَهُ عَنْ إِفْكِ ذِي الْبُهْتَانِ"^(١)

(١) (الكافية الشافية) لابن القيم (٧٠٦-٧٠٧) طبعة دار عالم الفوائد.

علاقة الشوق إلى الله جل وعلا بالفطرة:-

إن محبة الله جل وعلا والشوق إليه قريبة من العبد جداً، إذ هي مركوزة ومكنوزة في أعماق قلبه، ومتجذرة في ضميره، خلقها الله جل وعلا فيه كما خلق له عينين ولساناً وشفقتين، ألا إنها الفطرة التي فطر الله الناس عليها !!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: -

(والقلب إنما خلق لأجل "حب الله تعالى" وهذه الفطرة التي فطر الله عليها عباده، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء" ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه اقرءوا إن شئتم:

﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ ^(١)

[الروم: ٣٠].

فאלله سبحانه فطر عباده على محبته وعبادته
وحده، فإذا تركت الفطرة بلا فساد كان القلب
عارفاً بالله مُحباً له عابداً له وحده... ^(٢).

(١) رواه البخاري رقم (١٣٥٨) ومسلم رقم (٢٦٥٨).

(٢) (مجموع الفتاوى) (١٠/١٣٤-١٣٥).

الشوق إلى الله في قلوب العباد وإن غفل عنه الغافلون :-

إن محبة الله والشوق إليه يسيرة على من يسرها الله عليه؛ فهي ليست متاعاً لا يباع إلا بأعلى الأثمان، وليست كنزاً لا يمكن الوصول إليه إلا بشق الأنفس. إنها موجودة في فطرته، مغروسة في قلبه، كامنة في كيانه وإن غفل عنها.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى:

(وما من مؤمن إلا وفي قلبه محبة لله تعالى، وطمانينة بذكره، وتنعّم بمعرفته، ولذة وسرور بذكره، وشوق إلى لقائه، وأنس بقربه، وإن لم يحس به، لاشتغال قلبه بغيره، وانصرافه إلى ما هو مشغول به، فوجود الشيء غير الإحساس والشعور به.

وقوة ذلك وضعفه وزيادته ونقصانه، هو بحسب قوة الإيمان وضعفه وزيادته ونقصانه^(١).

(١) (إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان) لابن القيم (٢/٩٤٨) طبعة دار عالم الفوائد.

الشوق إلى الله جل وعلا وحُجب الذنوب:-

لما كان الشوق إلى الله جل وعلا أثراً من آثار المحبة، كان لابد له أن يتأثراً بالمحبة زيادة ونقصاً، فكلما زادت المحبة زاد الشوق، وكلما نقصت المحبة نقص الشوق.

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - مبيناً أن وجدان وذوق حلاوة الأنس بالله والشوق إلى لقائه بحسب قوة المحبة وضعفها: (فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة، والعقول الزاكية أحلى، ولا ألد، ولا أطيب، ولا أسر، ولا أنعم، من محبته والأنس به، والشوق إلى لقائه -إلى أن قال رحمه الله تعالى- ووجدان هذه الأمور وذوقها هو بحسب قوة المحبة وضعفها، وبحسب إدراك جمال المحبوب والقرب منه، وكلما كانت المحبة أكمل، وإدراك المحبوب أتم، والقرب منه أوفر، كانت الحلاوة واللذة والسرور والنعيم أقوى^(١)).

(١) (إغائة اللفهان في مصائد الشيطان) (٢/٩٤٦-٩٤٧) طبعة دار عالم الفوائد.

ومحبة الله عز وجل في قلب العبد تنقص بقدر
اقترافه للذنوب من شهوات وشبهات وأمراض قلوب
كالكبر والفخر والخيلاء والحسد والرياء والسمعة
والعجب وغيرها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -
: (والذنوب تنقص من محبة الله تعالى بقدر ذلك) ^(١).

فعلى قدر المعاصي الظاهرة والباطنة وأمراض
القلوب يكون قدر الحجب على القلب، وتكدر
صفو الفطرة فيها، فلئن كان الكفر يطمس
الفطرة التي فطر الله الناس عليها (فأبواه يهودانه أو
ينصرانه أو يمجسانه) ^(٢).

فإن الذنوب تكدر صفو القلب والفطرة
وتحجبهما، مما يكون له أثر في ضعف المحبة،

(١) (جامع الرسائل) لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم (٢/٢٥٨).

(٢) رواه البخاري رقم (١٣٥٨) ومسلم رقم (٢٦٥٨).

وبالتالي تضعف أشواق العبد إلى ربه جل وعلا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعلى قدر تخلص العبد من أدران الذنوب من شهوات وشبهات، وبقدر طهارة قلبه من الأمراض، بقدر ذلك يُجلى قلبه وتصفو فطرته وتزول الحجب عنهما، حينها تتحرك أشواقه إلى ربه جل وعلا فلا يعيقها عائق، ولا يمنعها مانع ولا يحجبها حاجب.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً، فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتت سوداء، وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تعود القلوب على قلبين: قلب أسود مريداً كالكوز مجحياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه، وقلب أبيض مثل الصفا، لا تضره فتنة مادامت السموات والأرض)^(١).

(١) رواه مسلم رقم (١٤٤).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - معلقاً على الحديث: (والفتن التي تعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات وفتن الشبهات، وفتن الغي والضلال، وفتن المعاصي والبدع، وفتن الظلم والجهل، فالأولى توجب فساد القصد والإرادة، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد)^(١).

وفي حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما بيان أثر فتن الذنوب من شهوات وشبهات وأمراض قلوب على قلب العبد، وما يتلوه من تكدر فطرته المغروسة في قلبه.

وفي الحديث كذلك بيان أن إنكار فتن الذنوب من شهوات وشبهات وأمراض قلوب قبل الوقوع فيها، والتوبة منها بعد الوقوع فيها، له أثر في نقاء القلب وطهارته، وما يتلو ذلك من صفاء الفطرة وجلائها.

(١) (إغاثة اللهفان) (١/٦٦).

ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم: (إن المؤمن إذا أذنب نُكِّت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب، ونزع، واستغفر، صُقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكر الله عز وجل: ﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] ^(١)

(١) رواه الإمام أحمد رقم (٧٩٥٢)، والترمذي رقم (٣٣٣٤) وقال عن الحديث: حديث صحيح.

الذنوب والخسارة:-

بقدر ما يعصي العبد ربه جل وعلا يتكدر قلبه وفطرته، وبقدر ذلك تكون خسارته؛ ذلك لأنها حجب على القلب والفطرة تُبعد العبد عن ربه جل وعلا وتحول بينه وبين محبته والأنس به والشوق إليه واللذة بمناجاته؛ والناس متفاوتون في ذلك كل بقدره.

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى -:-

(فالعبد في حال معصيته واشتغاله عنه بشهوته ولذته، تكون تلك اللذة والحلاوة الإيمانية قد استتريت عنه، وتوارت، أو نقصت، أو ذهبت)^(١).

وعلى سبيل المثال لا الحصر سأضرب بعض الصور لبيان شؤم الذنوب وسببها في الخسارة:

(١) (إغاثة اللهفان) (٩٤٩/٢)، طبعة دار عالم الفوائد.

فلا يخدَعَنَّ بلذة النوم من كان مستغرقاً في نوم عميق على فراشه الوفير، تاركاً لصلاة الفجر أو غيرها من الصلوات ثم يحسب أنه في سعادة، بل هو في خسارة حيث منعه لذته هذه الموهومة عن لذته الحقيقية وهي لذة مناجاته لربه والأنس به والشوق إليه. ولا يُخدَعَنَّ من يرى منكراً من المنكرات ويستطيع إنكاره بإحدى مراتبه الثلاثة، ثم يؤثر السلامة أنه في سلامة بل هو في خسارة.

ولا يُخدَعَنَّ بلذة العظمة والكبرياء من يردُّ الحق بعد ما بان له واتضح ليرضي كبرياءه ثم يحسب أنه في سعادة، بل هو في خسارة.

ولا يُخدَعَنَّ بلذة التشفي من يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ويتمنى بل ربما سعى لزوالها

عنهم بكلمة أو فعل، ثم حصل له بعض ما أراد ثم يحسب أنه في سعادة؛ بل هو في خسارة.

ولا يُخدَعَنَّ بلذة الشهوة الخفية من يُرائي أو يسمع بمنطقه وصوته أو عمله؛ ليجلب لنفسه مدحاً أو يرفع عنه مذمةً ثم يحسب أنه في سعادة، بل هو في خسارة.

ولا يُخدَعَنَّ بلذة التعالي من يحتقر الناس سواءً في نفسه أو بنظرة منه أو كلمة أو فعلٍ ليرضي خيلاءه وكبريائه ثم يحسب أنه في سعادة؛ بل هو في خسارة.

ولا يُخدَعَنَّ بلذة الانتصار للنفس من يظلم الناس - وإن كانت زوجته أو أولاده - في أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم ليرضي نفسه وجبروته ثم يحسب أنه في سعادة، بل هو في خسارة.

ولا يُخدَعَنَّ بلذة المال من يأخذه من أبوابها
المحرمة (اختلاس - سرقات - مساهمات محرمة -
رشوة) ثم يحسب أنه في سعادة؛ بل هو في خسارة.
ولا يُخدَعَنَّ بلذة التمتع بالنظر إلى ما حرم الله -
سواءً من رجال أو نساء - في القنوات الفضائية أو
الإنترنت أو الصحف والمجلات، ثم يحسب أنه في
سعادة؛ بل هو في خسارة.

ولا يُخدَعَنَّ بلذة التمتع بالمعاكسات سواء فتيان أو
فتيات، ثم يحسبون أنهم في سعادة، بل هم في خسارة.
ولا تُخدَعَنَّ تلك الفتاة أو تلك المرأة بلذة الحرية
الموهومة حين تبدي بعض مفاتنها كوجهها أو
عينها، أو تلبس ما يفتن الرجال أو يجلب أنظارهم
إليها ثم تحسب أنها في سعادة، بل هي في خسارة.

ولا تُخَدَعَنَّ تلك الفتاة أو تلك المرأة بلذة المباحة
حين تلبس ألبسة تصف العورات، أو تستر بعض
جسدها وتبرز أكثره؛ في الأعراس أو الحفلات أو
الأعياد والمناسبات، ثم تحسب أنها في سعادة، بل
هي في خسارة.

ولا يُخَدَعَنَّ بلذة محرمة من يعاقر الخمر ويتعاطى
المخدرات ويعانق البغايا ثم يحسب أنه في سعادة، بل
هو في خسارة.

ولا يُخَدَعَنَّ بلذة (الكيف) وتهدة الأعصاب كما
يزعم، من يشعل سيجارته أو (شيشته)، ثم يحسب
أنه في سعادة، بل هو في خسارة.

ولا يُخَدَعَنَّ بلذة السماع المحرم من يملأ سمعه
بالأغاني الماجنة والألحان الصاخبة ثم يحسب أنه في
سعادة، بل هو في خسارة.

فهذه الذنوب وغيرها تنكت في القلب نكتاً
سوداء، مما يكون لها أثر في حجب القلب وتكدير
الفطرة، وبقدر ذلك يخسر العبد بلذته الموهومة لذة
قربه من ربه والأنس به جلّ وعلا.

وقفعة مع (الذنوب وجذورها) :-

إن الذنوب التي يقع فيها كثير من الناس، وقد استمرأتها قلوبهم حتى أصبحت لهم عادة وطبعاً - سواء كانت ذنباً ظاهراً أو أمراضاً باطنة -، هي في حقيقة الأمر لها جذور في قلوبهم.

فهي كالنبات له جذور في الأرض تمد به الماء والغذاء، وكذلك الذنوب لها جذور في القلب، إما جذور شهوة متصلة، أو جذور شبهة مضللة، تذكى شهوته وهواه أو تهون عليه الأمر والنهي أو تشبه عليه الحق بالباطل، كلما أراد التخلص من هذه الذنوب.

وحقيقة ذلك أن العبد إذا أراد أن يترك ذنباً قد اعتاد عليه، فإنه يجد مشقة في تركه، بل ربما تركه شهوراً بل سنين ثم يعود إليه - نسأل الله العافية - وما ذاك إلا بسبب جذور الشهوات والشبهات التي لم تقلع من قلبه، ولو قلعها بإذن الله لم يعد إليها أبداً.

وعلاج الشهوات بالصبر والتقوى وعلاج الشبهات بالعلم واليقين.

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - : (والفتنة نوعان: فتنة الشبهات، وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحدهما. ففتنة الشبهات: من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهناك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سيئ القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته، وقلة علمه بما بعث الله به رسله، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنْ يَنْعَمُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل:

فالأولى: أصل فتنة الشبهة، والثاني: أصل فتنة الشهوة.

ففتنة الشبهات: تدفع باليقين، وفتنة الشهوات:

تدفع بالصبر، ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين

منوطة، بهذين الأمرين، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤) [السجدة:

٢٤]. - إلى أن قال رحمه الله - فبكمال العقل والصبر

تدفع فتنة الشهوة وبكمال البصيرة واليقين تدفع

فتنة الشبهة، والله المستعان^(١).

(١) (إغاثة اللفهان) (٢/٩٠٠) وما بعدها. طبعة دار عالم الفوائد.

منزلة الشوق إلى الله جل جلاله :-

الشوق إلى الله جل وعلا من أعلى مقامات العبد وأرفعها ، وبيان ذلك :-

(١) أن محركات القلوب إلى الله جلّ وعلا ثلاثة: المحبة والخوف والرجاء ، وأعظمها محركاً المحبة كما قرر ذلك شيخ الإسلام ^(١).

ومن أعظم آثار المحبة الشوق إلى الله ، فكلما زادت المحبة زاد الشوق وكلما ضعفت المحبة ضعف الشوق.

فإذا كانت المحبة هي أعظم محركات القلوب ، والشوق إلى الله من أعظم آثار المحبة تبين بذلك عظم منزلة الشوق إلى الله جل وعلا ومكانته.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (وإذا كان الشوق هو سفر القلب في طلب محبوبه ونزوعه إليه ، فهو من أشرف مقامات العبد وأجلها وأعلاها) ^(١).

(١) انظر (مجموع الفتاوى) (٩٥/١)، وقد سبق ذكره في صفحة (١١).

وقال ابن رجب - رحمه الله تعالى - : (الشوق إلى لقاء الله درجة عالية رفيعة تتشأ من قوة المحبة لله عز وجل وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل الله هذه الدرجة).

خرج الإمام احمد وابن حبان في صحيحه، والحاكم من حديث عمار بن ياسر: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذا الدعاء: (اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق... وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة)^{(٢)(٣)}.

(١) (طريق المجرتين) (٧٢٣/٢).

(٢) رواه احمد رقم (١٨٣٢٥)، النسائي في الكبرى رقم (١٢٢٩)، وابن حبان رقم (١٩٧١)، والحاكم (٥٢٤/١-٥٢٥)، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في (صحيح سنن النسائي) برقم (١٢٣٧).
(٣) (مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي) (٣٥١/٣)، دراسة وتحقيق أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

(٢) المحبة والشوق إلى الله جل وعلا من أعمال القلوب التي يتفاضل العباد عند الله جل وعلا بها، كما تتفاضل أعمالهم كذلك بتفاضل ما في قلوبهم من هذه الأعمال القلبية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -:
(أصل التفاضل بين الناس إنما هو بمعرفة الله ومحبته) ^(١).

وقال رحمه الله في موضع آخر: (فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص، وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحداً، وبين صلاتهما كما بين السماء والأرض) ^(٢).

فالذي يقوم بالعبادات والطاعات ويترك المعاصي والمنكرات محبةً وشوقاً وخوفاً ورجاءً، فحادي المحبة والشوق إلى الله يحدوه، وخوفه أولاً من أن

(١) (الفتاوى) (٥٦٩/٧).

(٢) (منهاج السنة) (٦/٢٢١-٢٢٢).

ينزل قدره ومنزلته عند ربه، أو أن يغضب عليه فينبذه ويقصيه، أو أن يحجبه عن رؤيته بإدخاله دار المبعدين، خوفه من ذلك كله - قبل خوفه من أليم الجحيم - يحذره من التقصير، ورجاؤه أولاً لرؤية ربه في الجنة وقربه منه - قبل رجائه لنعيم ما فيها - يقوده للمسارعة والتشمير.

فمحبتة محبة المشتاقين، وخوفه خوف المشتاقين، ورجاؤه رجاء المشتاقين، ومن كانت هذه حاله في القيام بالعبادات والطاعات وعند ترك المعاصي والمنكرات؛ لاشك أنه أفضل حالاً وأرفع منزلة وأعلى درجة ممن يقوم بالعبادات والطاعات إما خشية الإثم والعقوبة مع ضعف المحبة والرجاء، وإما رجاء الثواب مع ضعف المحبة والخوف.

(٣) الشوق إلى الله أثر من آثار المحبة، بل دليل وبرهان على قوة المحبة وصدقها في قلب المؤمن،

إذ بضعف المحبة يضعف الشوق وربما اضمحل وتلاشى، وبقوة المحبة يقوى الشوق.

فإذا علم الله جل وعلا - وهو العليم الخبير - صدق محبة عبده له وشوقه إليه أحبه الله وأنزله منازل المحبوبين.

حينها لا تسلب عن الخيرات، والرحمات، والبركات، والألطاف والمسرات، ورفع الدرجات، وإقالة العسرات، ومغفرة الذنوب والزلات؛ التي تنزل من الله جلّ جلاله على عبده، ومصادق ذلك في قوله تعالى في الحديث القدسي: (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني ل أعطيه، ولئن استعاذني لأعيذنه) ^(١).

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٠٢).

علامات الشوق إلى الله جلّ وعلا:-

(١) الفرح والسرور بالعبادات والطاعات لشعور العبد فيها بقربه من ربه، فيجد حينها حلاوة الإيمان، ولذة المناجاة، والأنس برب البريات، فيطمئن قلبه، وترتاح نفسه، وتقرّ عينه، فعندئذ لا يجد تعباً في العبادات ولا مشقة فيها، فيقدم عليها إقدام المشتاقين الفرحين ﴿قُلْ يَفْضَلُ اللَّهُ وَرَحْمَتُهُ فِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس: ٥٨)، وحال المؤمن في هذه العبادات والطاعات على حالين:-

أ- المسارعة إلى الفرائض والواجبات من الأعمال القلبية والبدنية وبذل الوسع في تكميلها وتمامها، ذلك لأنها أحب شيء يتقرب العبد بها إلى الله جلّ وعلا، كما ورد في الحديث القدسي: (وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه)^(١).

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٠٢).

ب- الإكثار من النوافل والطاعات واغتنام الأوقات في ذلك، لأنها سبيل إلى محبة الله جل وعلا ورضوانه، كما ورد في الحديث القدسي: (... وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)^(١).

(٢) الإكثار من ذكر الله والاستغفار ليبقى اللسان رطباً، والقلب متصلاً، والنفس مشتاقة إلى ربها ومولاها.

(٣) اجتناب المعاصي والمنكرات وأسبابها لأنها حجب تحجب القلب عن الله جل وعلا، وقواطع وموانع تضعف الشوق إلى الله في قلب العبد، بل قد تعيقه وترين عليه، قال يحيى بن معاذ: (علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات)^(٢).

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٠٢).

(٢) (مدارج السالكين) (٥١٣/٣).

٤) الحذر من كل شيء يشغل القلب، ويكدر الصفو، ويعيق الشوق إلى الله، من فضول النظر والكلام أو السماع أو المأكّل أو المشرب أو الملبس؛ هذا في المباحات، فكيف بالمحرمات والمشتبهات لاشك أن الحذر أشد.

وإن حصل له شيء من غفلة أو شغل بشاغل، بادر إلى الاستغفار والذكر.

﴿فَإِذَا فرَغْتَ فَأَنْصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧-٨].

٥) المسارعة إلى التوبة الصادقة النصوح عند الوقوع في التقصير في الواجبات أو اقتراف المعاصي والسيئات بشروطها الشرعية وهي: (١)- الندم على فعل المعصية. ٢- الاقلاع عن المعصية. ٣- العزم على عدم العودة إليها. ٤- رد الحقوق والمظالم إلى أهلها إن كان هناك مظلمة من مال أو عرض أو غيره، والثلاثة الأولى في حق الله عز وجل والرابع في حقوق العباد ورد المظالم لأهلها وطلب السماح منهم.

أنواع الشوق إلى الله:-

(١) شوق إلى الله وذلك بالشوق إلى قربه بالمسارعة إلى العبادات شوقاً وفرحاً، لتأنس النفس، ويطمئن القلب، وترتاح الروح، بحلاوة مناجاته، ولذة الخلوة به، والقيام بما يرضيه جلّ وعلا.

فلا يكاد المؤمن ينتهي من عبادة حتى يسارع إلى عبادة أخرى ليبقى قلبه متصلاً بربه قريباً منه.

كالصلوات الخمس مثلاً، فالمؤمن دائم الانتظار لها، فلا يفرغ من صلاة حتى ينتظر الصلاة الأخرى، قال صلى الله عليه وسلم: (وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذاككم الرباط فذاككم الرباط)^(١).

(١) رواه مسلم رقم (٢٥١).

ومما يدل على هذا المعنى سواء في الصلاة أو غيرها من العبادات قوله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة: (أرحنا بها يا بلال) ^(١).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (وجعلت قرّة عيني في الصلاة) ^(٢).

وقوله صلى الله عليه وسلم في الجهاد في سبيل الله: (والذي نفسي بيده لولا أن رجلاً لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لو ددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيأ، ثم أقتل ثم أحيأ، ثم أقتل ثم أحيأ، ثم أقتل) ^(٣).

(١) رواه الإمام أحمد (١٢٨/٣، ١٢٩) والنسائي (٦١/٧)، وحسنه ابن حجر في التلخيص (١٣٣/٣) وصححه الألباني في (صحيح سنن النسائي) رقم (٣٦٨٠).
(٢) رواه أبو داود رقم (٤٩٨٥-٤٩٨٦)، انظر (صحيح سنن أبي داود) للألباني رقم (٤١٧١-٤١٧٢).
(٣) رواه البخاري رقم (٢٧٩٧).

(٢) شوق إلى الله وذلك بالشوق إلى لقائه في الآخرة ورؤيته وسماع كلامه جل وعلا وذلك في الجنة.
قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاقِيَهُ﴾
[العنكبوت: ٢٥].

قال ابن القيم عن هذه الآية: (قيل هذه تعزية للمشتاقين، وتسلية لهم، أي أنا أعلم أن من كان يرجو لقائي فهو مشتاق إليّ، فقد أجلت له أجلاً يكون عن قريب، فإنه آت لا محالة، وكل آت قريب)^(١).
وقال صلى الله عليه وسلم: (وأسألك الشوق إلى لقاءك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة)^(٢).

(١) (مدارج السالكين) (٥١١/٣).

(٢) رواه الإمام أحمد رقم (١٨٣٢٥) والنسائي رقم (١٢٢٩) وصححه الألباني في (صحيح سنن النسائي) رقم (١٢٣٧).

مراتب الشوق إلى الله ومنازله في الآخرة:-

للشوق ثلاث مراتب، ولكن قبل الشروع في ذكر هذه المراتب والمنازل يجدر الإشارة إلى أمرٍ قد يقع فيه لبس ألا وهو ظن كثير من الناس بأن الشوق إلى الله جل جلاله ينافي الشوق إلى الجنة؛ والصحيح أن الشوق إلى الله جل جلاله لا ينافي الشوق إلى الجنة.

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - بعد ما بين أن الجنة: اسم جامع لكل نعيم، وأعلاه النظر إلى وجه الله جل وعلا: (ومن هنا يتبين زوال الاشتباه في قول من قال: ما عبدتك شوقاً إلى جنتك ولا خوفاً من نارك، وإنما عبدتك شوقاً إلى رؤيتك، فإن هذا القائل ظن هو ومن تابعه أن الجنة لا يدخل في مسماتها إلا الأكل والشرب واللباس والنكاح والسمع ونحو ذلك مما فيه التمتع بالمخلوقات

– إلى أن قال رحمه الله تعالى – والتحقيق أن الجنة هي الدار الجامعة لكل نعيم، وأعلى ما فيها النظر إلى وجه الله، وهو من النعيم الذي ينالونه في الجنة، كما أخبر به النصوص^(١).

ويقول ابن القيم – رحمه الله تعالى – : (الشوق إلى الله لا ينال في الشوق إلى الجنة، فإن أطيب ما في الجنة قربه تعالى، ورؤيته وسماع كلامه ورضاه، نعم الشوق إلى مجرد الأكل والشرب، والحدود العين في الجنة ناقص جداً بالنسبة إلى شوق المحبين إلى الله تعالى، بل لا نسبة إليه ألبته)^(٢).

ومع هذا الاحتراز إلا أنه يجب علينا أن نفرق بين مراتب الشوق ومنازله، والباعث على هذه المراتب في أحوال المسلمين.

(١) (الفتاوى) (٦٣/١٠).

(٢) (مدارج السالكين) (٥٢٠/٣).

فقد تكون جميع البواعث على هذه المراتب موجودة في قلب المؤمن، ولكن قد يغلب بعضها على بعض إما لغفلةٍ وإما لقوة تأثير الباعث على تلك المنزلة عن غيرها، وذلك مثل المحبة والخوف والرجاء إذ الأصل أن تكون المحبة لله في قلب المؤمن أعظم من الخوف منه والرجاء له، ولكن قد يغلب الخوف على المحبة أو الرجاء على المحبة أما لغفلةٍ عن الأفضل، وإما لقوة تأثير الخوف أو الرجاء على المحبة في وقت من الأوقات.

مراتب الشوق ومنازله هي:

الدرجة الأولى: الشوق إلى الجنة وباعثه ليأمن الخائف، ويفرح الحزين، ويظفر الآمل.

الدرجة الثانية: شوق إلى الله جلا وعلا وباعثه نعم الله على عبده وفضله وإحسانه إذ الإنعام والإحسان سبب من أسباب المحبة والشوق.

الدرجة الثالثة: وهي أعلى المراتب وهي الشوق إلى الله جلّ وعلا، وباعثه شهود كمال أسماء الله جل وعلا وصفاته^(١).

فالدرجة الأولى باعثها ليأمن الخائف ويفرح الحزين ويظفر الآمل، فهو شوق إلى فضل الله وثوابه.

(١) انظر (مدارج السالكين) (٥١٩/٣) وما بعدها، (طريق المهجرتين) (٧٢٩/٢) وما بعدها.

وهذا الشوق قد يغلب على من كان في بلاء وشدة، أو في غموم وأحزان، أو في بيئة تكثر فيها فتن الشهوات من نساء وغيرها من متاع الدنيا.

فشوقه إلى الجنة ليزول بلاؤه وشدته مما يخافه، أو ليفرح بزوال همومه وغمومه، أو ليظفر بما يؤمل من نعيم الجنة من حور وقصور وحيور.

وهذه البواعث للشوق إلى الجنة في الحقيقة مطلب لكل أحد، فما منا إلا وهو في كبر وشدة وبلاء أو هموم وأحزان، أو فتن الشهوات التي تحيط بنا من كل جانب.

فقد قال جلّ شأنه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المك: ٢٢].

وقال جلّ شأنه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، فهذه سنة الله في خلقه أجمعين.

ولكن ينبغي لمن كان في بلاء وشدة أو هموم وغموم أو غيرها ، أن لا يشغله شوقه إلى النجاة من كل مكروه والظفر بكل مطلوب بدخوله الجنة ، أن لا يشغله ذلك عما هو أعظم منه ، وهو الشوق إلى الله جلّ وعلا وإلى رؤيته ولقائه في الجنة .

فهؤلاء الأنبياء والصالحون هم أشد الناس بلاءً ، ولكن لم يشغلهم ما هم فيه من بلاء وشدة عن الطموح إلى أعلى درجات الشوق وهو الشوق إلى الله جلّ وعلا .

مع العلم أن حصول رؤية الله جلّ وعلا لا تتحقق إلا في الجنة ، فبهذا يحصل لهم أعلى نعيم الجنة وهو رؤيته جلّ وعلا ، وكذلك ما دونه من نعيم من حور وقصور وحبور فلا تنافي بينهما .

والمقصود أن نعيم الجنة من حور وقصور وحبور قد يكون في قلب المؤمن ، ولكن شوقه إلى هذا

النعيم يكون تبعاً لما هو أعلى منه وهو رؤية الله جلّ وعلا والشوق إلى لقائه، وأن لا يكون هو الأصل والباعث الأول.

إن هذه المراتب الثلاثة تكون في قلب المؤمن ولا شك، ولكن الذي ينبغي أن يكون في قلب المؤمن أولاً المرتبة الثالثة وهي الشوق إلى الله جلّ وعلا لشهوده كمال أسمائه وصفاته، ثم الشوق إليه جلّ وعلا لشهود نعمه وآلائه عليه ثانياً، ثم الشوق إلى الجنة ليأمن مما يخوفه، ويفرح بعد حزنه ويظفر بما يؤمله ثالثاً، فبهذا الترتيب لا يكون بين هذه المنازل الثلاثة إلغاء ولا تنافٍ.

فتحقيق المرتبة الثالثة في قلب المؤمن لا يلزم منها نفي المرتبة الثانية والأولى، ولكن الباعث الأول والأعظم هو الشوق إلى الله لشهوده كمال أسمائه وصفاته.

ولذا ينبغي للمؤمن أن يراعي قلبه إذا ذكرت الجنة ، هل يرف قلبه وتتحرك أشواقه ، وتبكي عيناه أولاً شوقاً إلى لقاء الله أم لنعيم الجنة من حور وقصور وحبور!!

إذ إن هذه المراتب الثلاثة ببواعثها المختلفة – وعلى قدر تمكّنها من قلوب العباد – هي التي بها يتفاوت الناس في منازلهم وقدرهم عند ربهم ومليكم جلّ وعلا.

العبادات والشوق إلى الله جل وعلا :-

عندما تزول عن القلب والفطرة حجب الشهوات
والشبهات تتحرك أشواق العبد لربه جلّ وعلا ، حينها
تصبح العبادات مقامات قريبة ولذة ، والأوامر
والنواهي الشرعية - وإن كان في بعضها نوع مشقة
- تشاريف وزلفة.

أولاً : الصلاة :

لما كانت الصلاة صلة بين العبد وربه - ولا غنى
للعبد عن صلة ربه - فرض الله جلّ وعلا الصلوات
الخمس في أوقات متفرقة؛ ليبقى قلب العبد متصلاً
بربه من جانب ، ولتكون مقامات لتلبية أشواقه لربه
من جانب آخر.

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم دائم
الأشواق لربه كانت الصلاة قرّة عينه ، وراحة قلبه ،

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وجعلت قرّة عيني في الصلاة)^(١)، وقال كذلك عليه الصلاة والسلام: (يا بلال أرحنا بالصلاة)^(٢).

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - معلقاً على الحديثين: (وتأمل قوله "جعلت قرّة عيني في الصلاة" ولم يقل (بالصلاة) إعلماً بأن عينه إنما تقرّ بدخوله فيها - إلى أن قال رحمه الله - وتأمل كيف قال "أرحنا بها" ولم يقل "أرحنا منها" كما يقوله المتكلف بها الذي يفعلها تكلفاً وغُرمًا - إلى أن قال رحمه الله - فالأول عبدٌ قد دخل الدار والستر حاجب بينه وبين رب الدار، فهو من وراء الستر،

(١) رواه الإمام أحمد (١٢٨/٣)، والنسائي (٦١/٧)، وحسنه ابن حجر في التلخيص (١٣٣/٣)، وصححه الألباني في (صحيح سنن النسائي) رقم (٣٦٨٠).
(٢) رواه أبو داود رقم (٤٩٨٥-٤٩٨٦) وانظر (صحيح سنن أبي داود) للألباني رقم (٤١٧١-٤١٧٢).

فلذلك لم تقر عينه، لأنه في حجب الشهوات وغيوم الهوى، ودخان النفس، وبخار الأمانى، فالقلب عليل والنفس مكبة على ما تهواه، طالبة لحظها العاجل. والآخر قد دخل دار الملك، ورفع السترينه وبينه، فقرت عينه واطمأنت نفسه، وخشع قلبه وجوارحه، وعبد الله كأنه يراه، وتجلي له في كلامه، فهذه إشارة ما ونبذة يسيرة جداً في ذوق الصلاة^(١).

فالمصلي عندما تزول عنه حُجُب الشهوات والشبهات، تتحرك أشواقه لربه جلّ وعلا؛ فلئن كانت رجلاه على الأرض فإن روحه تعرج إلى السماء، ولئن كان يسجد على الأرض فإن روحه تسجد عند العرش **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (١٦) ﴿العلق: ١٩﴾.**

(١) (الكلام على مسألة السماع) لابن القيم ص(١١٧-١١٨)، طبعة دار عالم الفوائد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فالداعي والساجد روحه إلى الله، والروح لها عروجٌ يناسبها، فتقرب من الله بلا ريب بحسب تخلصها من الشوائب، فيكون الله عز وجل قريباً قريباً يلزم من قربها) ^(١).

وقال رحمه الله تعالى في موضع آخر: (إن روح المصلي تقرب إلى الله في السجود، وإن كان بدنه متواضعاً، وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب) ^(٢).

ثانياً: قيام الليل:

هو شعار الصالحين، وخلوات المحبين، ولذة المشتاقين، إذ ينزل الله جلّ وعلا في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بعظمته وجلاله،

(١) (الفتاوى) (٢٤١/٥).

(٢) (الفتاوى) (٧/٦).

فيقول: (من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له) ^(١).

حينها تحلو المناجاة، وتسكب العبرات، وتقال العثرات، وترفع الدرجات، وتستجاب الدعوات.

وفي قيام الليل يجتمع ما لا يجتمع في غيره، قرب الرب جلّ وعلا من عبده، وقرب العبد من ربه؛ قال صلى الله عليه وسلم: (أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر) ^(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) ^(٣).

ولما علم المؤمنون بهذين القربين تآقت نفوسهم لقيام الليل شوقاً إلى ربهم.

(١) رواه البخاري رقم (١٠٩٤) ومسلم رقم (٧٥٨).

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٥٧٩)، وانظر (صحيح الترمذي) للألباني رقم (٢٨٣٣).

(٣) رواه مسلم رقم (٤٨٢).

أما الصحابة رضوان الله عليهم فقد كان قيام الليل واجباً عليهم في أول الإسلام، وقد وجدوا فيه من اللذة والأنس بمناجاة الله ما جعلهم يصبرون ويثبتون على دينهم، فايزاء وتعذيب لهم في النهار يقابله قيام لهم بالليل.

فلما نسخ الله وجوبه رحمة بهم كما ذكره الله في آخر سورة المزمل، لم يترك الصحابة قيام الليل بعدما ألفتهم نفوسهم، وأنست به أرواحهم، وقويت به قلوبهم وأجسادهم، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦].

وأما التابعون فقد تبعوهم بإحسان، فلقد كانت ليااليهم عامرة بالقيام والذكر والتلاوة والبكاء.

قال بعض السلف: (إني لأفرح بالليل حين يقبل، لما يلتذ به عيشي، وتقر به عيني من مناجاة من أحب،

وخلوتي بخدمته والتذلل بين يديه ، واغتم للفجر إذا طلع ، لما اشتغل به بالنهار عن ذلك^(١) .

ثالثاً : الصيام :

(للصائم في الصيام فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه)^(٢) .

فيا لله أي شوق في قلوب المؤمنين للصيام - فرضه ونفله - لينالوا به فرحة عاجلة عند فطرهم ، وأعظم منها آجلة تنتظرهم عند لقاء ربهم .
ويزداد شوق المؤمنين للصيام حينما يتذكرون أن مع هاتين الفرحتين خصالاً أخرى ، منها ما تشترك مع غيرها من العبادات ، ومنها ما تخصه دون غيره .

(١) (طريق الهجرتين) ، (١/٤٧٤) .

(٢) رواه البخاري رقم (١٩٠٤) ومسلم رقم (١١٥١) .

أما ما يشترك مع غيره من العبادات: فكونه من أبواب التقوى، وطريق من طرق استجابة الدعاء، وهو "جُنة"^(١) وستر من النار، قال ابن العربي: (إنما كان الصوم جُنة من النار، لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات)^(٢).

أما ما يختص به فقد جعل الله الصيام له، وأجزل ثوابه من بين سائر العبادات، كما قال صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل: "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به")^(٣).

كما جعل الله للصائمين باباً خاصاً بهم لا يدخل منه أحدٌ غيرهم وهو باب الريان.

(١) سبق تخرجه في الصفحة السابقة.

(٢) (فتح الباري) لابن حجر (١٠٣/٤-١٠٤).

(٣) سبق تخرجه في الصفحة السابقة.

و(لُخْلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ)^(١).

قال أبو حاتم: (شعار المؤمن يوم القيامة التحجيل بوضوئهم في الدنيا فرقاً بينهم وبين سائر الأمم، وشعارهم في القيامة بصومهم طيب خلوف أفواههم أطيب من ريح المسك، ليُعرفوا من بين سائر الأمم في ذلك الجمع بذلك العمل، جعلنا الله تعالى منهم)^(٢).

رابعاً: الحج والعمرة:

في الحج والعمرة مشاعر وشعائر لا تجتمع في غيرهما:
يا من يطوف بكعبة الحسنى التي
خفت بذاك الحجرِ والاركانِ
ويظل يسعى دائماً حول الصفا

(١) رواه البخاري رقم (١٩٠٤)، ومسلم رقم (١١٥١).

(٢) (الوابل الصيب) لابن القيم ص (٦٠). طبعة دار عالم الفوائد.

ويحث من مسعاه كل آوانٍ
ويروم قربان الوصال على منى
والخيف يحجبه عن القربان
فلذا تراه محرماً أبداً ومو
ضع حله منه فليس بدانٍ
يبغي التمتع مفرداً عن حبه
متجرداً يبغي شفيق قرانٍ
ويظل بالجمرات يرمي قلبه
هذي مناسكه بكل آوانٍ

نعم لما كانت تلك المشاعر والشعائر في الحج
والعمرة اشتاقت قلوب المؤمنين وحنت لها ، ولو كانت
في أقاصي الأرض وأعماقها ، ولو بذلت في ذلك
الغالي والنفيس.

(١) (روضة المحبين ونزهة المشتاقين) لابن القيم ص (٣٦٠-٣٦١). طبعة دار عالم الفوائد.

فكم من حاج ومعتمر مات في طريقه لبيت الله،
فَرُجِيْ له أن تكون تلك الميتة من حسن الخاتمة!!؟

وكم من حاج ومعتمر لم يبذل الأموال
ومواجهة المهالك، والأخطار حتى تكتحل عيناه
برؤية بيت الله والطواف به وإكمال نسكه لعله أن
يفوز بحج أو عمرة مقبولة مبرورة.

يقول ابن القيم في معرض ذكره لعلامات المحبة
وشواهداها: (ومنها: محبة دار المحبوب وبيته، حتى
محبة الموضع الذي حلَّ به، وهذا هو السرُّ الذي
لأجله عكفت القلوب على محبة الكعبة البيت
الحرام، حتى استطاب المحبون في الوصول إليها
هجر الأوطان والأحباب، ولدَّ لهم فيها السَّفر الذي
هو قطعة من العذاب، فركبوا الأخطار، وجابوا
المفاوز والقفار، واحتملوا في الوصول غاية المشاق،
ولو أمكنهم لسَعَوْا إليها على الجفون والأحداق.

نعم أسعى إليك على جفوني

وإن بُعدت لمسراك الطريق

وسرُّ هذه المحبة هي إضافة الرب سبحانه له إلى

نفسه بقوله: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي ...﴾ ^(١) [الحج: ٢٦].

خامساً: الجهاد في سبيل الله:

هو ذروة سنام الإسلام إذ به حماية بيضة المسلمين، ونشر دين الله القويم، ولما كان الجهاد في سبيل الله بهذه المنزلة اشتاقت إليه قلوب المؤمنين - مهما يكن فيه من بذل الأموال والأنفس والجروح والقروح - غيرةً لله جل وعلا وحميةً لدينه، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (والله لو منعوني عناقاً - وفي رواية عقلاً - كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها) ^(٢).

(١) (روضة المحبين) ص (٣٧٨-٣٧٩).

(٢) (البداية والنهاية) لابن كثير (٤٣٨/٩).

وكما قال عمير بن الحمام - في غزوة بدر -
وهو يقاتل المشركين:

(ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النضاد

غير التقى والبر والرشاد)^(١)

ويتمثل الشوق للجهاد في سبيل الله جلياً في قوله
صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده، لولا أن
رجالاً لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما
أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله،
والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم
أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل)^(٢).

(١) (البداية والنهاية) لابن كثير (١٠٧/٥).

(٢) رواه البخاري رقم (٢٧٩٧).

وقد أبان خالد بن الوليد رضي الله عنه عن شوقه للجهاد في سبيل الله بقوله: (مامن ليلة يُهدى إليّ فيها عروس أنا لها مُحِبُّ أحبّ إليّ من ليلةٍ شديدة البرد، كثيرة الجليد في سرية أُصَبِّحُ بها العدو) ^(١).

سادساً: ذكر الله جلّ وعلا:-

يشتاق المؤمنون إلى ذكر الله جلّ وعلا لأن قلوبهم مهما أُوتيت من متاع الدنيا وزخرفها؛ لا تطمئن ولا تأنس إلا بذكر الله جلّ وعلا، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

(١) (سير أعلام النبلاء) (١/٣٧٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:
(الذكر للقلب مثل الماء للسّمك، فكيف يكون
حال السّمك إذا فارق الماء) ^(١).

يشتاقون إلى ذكر الله جلّ وعلا لأنه سبيل إلى
محبتة جلّ وعلا، بل إن الذكر أوسع أبواب المحبة،
وهو شارعها الأعظم، وطريقها الأقوم ^(٢).

يشتاقون إلى ذكر الله جلّ وعلا لأنه يورث القرب
منه جلّ ثناؤه، فكلما ازدادوا ذكرًا، ازدادوا قربًا.

فيا لها من رحمات تغشاهم، وأفضال تنزل
عليهم، وأفراح وأنس يغمر قلوبهم!!

يشتاقون إلى ذكر الله جلّ وعلا لأنه سبب لذكره
جلّ ثناؤه لهم، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

(١) (الوابل الصيب) لابن القيم ص (٩٦).

(٢) انظر (المصدر السابق) ص (٩٥).

ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً ، قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منه) ^{(١)(٢)} .

يشتاقون إلى ذكر الله جلّ وعلا لأن به جلاء قلوبهم من أدران الذنوب والمعاصي التي تكون حجباً على الفطر والقلوب فتمنعها من أن تتحرك أشواقها إلى خالقها وبارئها جلّ وعلا.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : (لكل شيء جلاء ، وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل) ^{(٣)(٤)} .

(١) رواه البخاري رقم (٧٤٠٥) ومسلم رقم (٢٦٧٥).

(٢) انظر : (الوابل الصيب) ص (٩٦).

(٣) (شعب الإيمان) رقم (٦٩١).

(٤) للاستزادة من فوائد الذكر ارجع إلى (الوابل الصيب) لابن القيم ص (٩٤) وما بعدها، فقد ذكر رحمه الله ثلاثة وسبعين فائدة للذكر.

سابعاً: القرآن الكريم:

هو كلام رب العالمين الذي تشتاق إليه قلوب المؤمنين تلاوة وحفظاً وسماعاً.

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى: (لا شيء عند المحبين أحلى من كلام محبوبهم فهو لذة قلوبهم وغاية محبوبهم)^(١).

تشتاق إليه قلوب المؤمنين إذ هو ربيع قلوبهم، ونور صدورهم، وجلاء أحزانهم، وذهاب همومهم وغمومهم، وشفاء أمراضهم وأسقامهم.

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى -: (فلمحبي القرآن من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور أضعاف ما لمحبي السماع الشيطاني)^(٢).

(١) (جامع العلوم والحكم) ص (٣٦٤).

(٢) (الداء والدواء) ص (٥٥١).

تشتاق إليه قلوب المؤمنين إذ هو نورٌ لهم في الدنيا
من ظلمات الشهوات والشبهات، ونورٌ لهم من ظلمات
القبور، ونور لهم في ظلمات يوم القيامة، وظلمات
الصراط الموضوع على متن جهنم.

تشتاق إليه قلوب المؤمنين إذ هو شفيع لهم إلى
جنات النعيم.

تشتاق إليه قلوب المؤمنين إذ هو سبب لرفع
درجاتهم في الجنة وقربهم من ربهم جلّ وعلا، قال
صلى الله عليه وسلم: (يقال لصاحب القرآن: اقرأ
وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك
عند آخر آية تقرأوها)^(١).

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - عن سماع
القرآن: (فالصادقون من أرباب السماع شمروا إلى
عَلَم المحبة، ورأوا أن السماع من الأسباب التي

(١) رواه أحمد رقم (٦٧٦٠)، وأبو داود (١٤٦٤) وغيرهما، وصححه الألباني في
(السلسلة الصحيحة) رقم (٢٢٤٠).

يُتوصَّل بها إلى ظهور الكوامن الباطنة من محبة الله، والشوق إليه، والارتياح إلى قربه ولقائه^(١).

وقال في موضع آخر: (كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، إذا اجتمعوا واشتاقوا إلى حادٍ يحدو بهم لطيب لهم السير، ومُحرِّكٍ يحرك قلوبهم إلى محبوبهم، أمروا واحداً منهم يقرأ والباقيون يستمعون، فتطمئن قلوبهم، وتفيض عيونهم، ويجدون من حلاوة الإيمان أضعاف ما يجده السماعية من حلاوة السماع، وكان عمر بن الخطاب إذا جلس عنده أبو موسى يقول: يا أبا موسى ذكرنا ربنا، فياخذ أبو موسى في القراءة، وتعمل تلك الأقوال في قلوب القوم عملها، وكان عثمان بن عفان يقول: (لو ظهرت قلوبنا لما شبعنا من كلام الله)، أي والله!، كيف تشبع من كلام محبوبهم وفيه نهاية مطلوبهم؟ وكيف تشبع من القرآن وإنما فتحت به لا بالغناء والألحان؟^(٢).

(١) (الكلام على مسألة السماع) ص (٥٦).

(٢) (كلام في السماع) ص (٨٠-٨١).

تحقيق الشوق إلى الله في قلب المؤمن :-

إن من أهم الأسباب التي يتحقق بها -بإذن الله -
الشوق إلى الله جل جلاله في قلب العبد عدة أمور منها :-

(١) إزالة الحجب - من ذنوب الشهوات والشبهات
وأعراض القلوب - عن الفطرة والقلب، ذلك لأنها
تكدر الفطرة وترين على القلب؛ فتعيق وتمنع أشواق
العبد إلى ربه.

لذا بقدر تخلص العبد من أدران هذه الذنوب،
وبقدر طهارة قلبه من الأمراض، تزول الحجب عن
القلب والفطرة فتصفو وتجلو.

وبعد صفاء القلب والفطرة وتخليتهما، يكون
المحل مستعداً لقبول ما يوضع فيه، حينها تأتي التحلية.

(٢) تحلية القلب وتغذيته بمعرفة الله جل وعلا والعلم
به عن طريق العلم بأسمائه الحسنی وصفاته العلی،

علمًا يورث إيمانًا ومحبة وشوقًا، يتبعه عمل وسلوك^(١).

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - بعدما ذكر الباب الأول المؤدي إلى محبة الله جلّ وعلا وهو شهود نعمه وآلائه الحسية والمعنوية على عباده التي يتقلبون فيها ليل نهار، بل هي على عدد الأنفاس واللحظات، ذكر الباب الآخر فيقول: (والله سبحانه دعا عباده إليه من هذا الباب، حتى إذا دخلوا منه دُعُوا من الباب الآخر، وهو باب الأسماء والصفات الذي إنما يدخل منه إليه خواص عباده وأوليائهم، وهو باب المحبين حقًا الذي لا يدخل منه غيرهم، ولا يشيع من معرفته أحد منهم، بل كلما بدا له منه عَلمٌ ازداد شوقًا ومحبة وظلمًا).

(١) من أفضل ما أُلّف في أسماء الله الحسنى كتاب (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها دراسة تربوية للأثار الإيمانية والسلوكية لأسماء الله الحسنى) تأليف الشيخ عبدالعزيز بن ناصر الجليل، فيحسن الرجوع إليه.

فإذا انضم داعي الإحسان والإنعام إلى داعي الكمال والجمال لم يتخلف عن محبة من هذا شأنه إلا أردأ القلوب وأخبثها وأشدّها نقصاً وأبعدها من كل خير، فإن الله فطر القلوب على محبة المحسن الكامل في أوصافه وأخلاقه، وإذا كانت هذه فطرة الله التي فطر عليها قلوب عباده، فمن المعلوم أنه لا أحد أعظم إحساناً منه سبحانه، ولا شيء أكمل منه ولا أجمل، فكل كمال وجمال في المخلوق من آثار صنّعه سبحانه، وهو الذي لا يُحدُّ كماله، ولا يوصف جلاله وجماله، ولا يحصي أحد من خلقه ثناءً عليه بجميل صفاته وعظيم إحسانه وبديع أفعاله، بل هو كما أثنى على نفسه، إذ كان الكمال محبوباً لذاته ونفسه وجبّ أن يكون الله هو المحبوب لذاته وصفاته، إذ لا شيء أكمل منه^(١).

(١) (طريق الهجرتين) (٢/٦٩٠-٦٩١).

فيقدر صفاء الفطرة وتخلص القلب من أدران
الذنوب والمعاصي، وطهارته من الأمراض، وكذلك
بقدر تحلية القلب وتغذيته بمعرفة الله جلّ وعلا
والعلم به يتبع ذلك عمل وسلوك على منهاج النبوة،
فيقدر هذين الأمرين (التخلية والتحلية) يكون قدر
تحرك أشواق العبد إلى ربه جلّ وعلا، فلا يعيقها
بإذن الله عائق، ولا يمنعها مانع، ولا يحجبها حاجب.

الخاتمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما
يحب ربنا ويرضى.

الحمد لله الذي يسر لي أن أبين ولو إبانة يسيرة،
وأن أضع لبنة صغيرة، في بيان هذا الموضوع الجليل
آلاً وهو (الشوق إلى الله جلّ جلاله)، الذي يجب أن
يتربى عليه الصغار لتتقاد قلوبهم، وتتهذب نفوسهم،
وتتعم أرواحهم في طاعة الله، ويشب عليها الشباب
فيحميهم ربهم من فتن الشهوات والشبهات ويذيقهم
لذة مناجاته والأنس بخلواته بمحبتهم له، وشوقهم
إليه وخوفهم منه ورجائهم له، لينالوا درجة (شاب
نشأ في عبادة الله)^(١).

(١) رواه البخاري رقم (١٤٢٣) واللفظ له، ومسلم رقم (١٠٣١).

ويهرم عليها الكبير عسى الله أن يختم له
بخاتمة خير وهو مشتاق إلى لقاء ربه.

ثم أسأله جلّ وعلا أن يكون هذا العمل حجة لي
ولشيخى عبد الرحمن بن ناصر البراك ولمن قرأه لا
علينا ، وأن يخلص عملنا جميعاً لوجهه الكريم ، وأن
يتقبله وينفع به.

فما كان فيه من صواب فهو من الله عز وجلّ
وحده ، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي
والشيطان ، واستغفر الله العلي العظيم وأتوب إليه.

والله أعلم

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

٣	مقدمة
٦	أهمية الحديث عن الشوق إلى الله في عصرنا الحاضر:
١٠	محركات القلوب :-
١٢	محبة الله مقدمة على الخوف منه والرجاء له :-
١٨	علاقة الشوق بالمحبة :-
٢٣	الشوق إلى الله جل جلاله :-
٢٤	علاقة الشوق إلى الله بمعرفة جماله جل وعلا :-
٢٧	علاقة الشوق إلى الله جل وعلا بالفطرة :-
٢٩	الشوق إلى الله في قلوب العباد وإن غفل عنه الغافلون :-
٣٠	الشوق إلى الله جل وعلا وحجب الذنوب :-
٣٥	الذنوب والخسارة :-
٤١	وقفعة مع (الذنوب وجذورها) :-
٤٤	منزلة الشوق إلى الله جل جلاله :-

٤٩	علامات الشوق إلى الله جل وعلا :-
٥٢	أنواع الشوق إلى الله :-
٥٥	مراتب الشوق إلى الله ومنزله في الآخرة :-
٦٣	العبادات والشوق إلى الله جل وعلا :-
٦٣	أولاً : الصلاة :
٦٦	ثانياً : قيام الليل :
٦٩	ثالثاً : الصيام :
٧١	رابعاً : الحج والعمرة :
٧٤	خامساً : الجهاد في سبيل الله :
٧٦	سادساً : ذكر الله جل وعلا :-
٧٩	سابعاً : القرآن الكريم :
٨٢	تحقيق الشوق إلى الله في قلب المؤمن :-
٨٦	الخلاصة
٨٨	الفهرس